الفقرة الثانية ـ يزيد وسبي أهل البيت:

حين أجمع المؤرّخون على أنّ رجال يزيد بعد قتل الحسين ﷺ ورجاله حملوا

(١) الردّ على المتعصّب العنيد: ٥٢.

رؤوسهم إلى ابن زياد وحملوا معها نساء أهل البيت عليهم السلام اللاتي كنّ مع الحسين كما تُحمل السبايا وانتهبوا ما راق لهم ممّا رأوه على النساء أيضاً بعد سلبهم الشهداء وتركهم مجرّدين على الرمضاء، ثمّ إنّ عبيدالله بن زياد بعث بهذه السبايا مع رؤوس رجالها بأقبح هيئة إلى يزيد في الشأم، ماذا قال ابن تيميّة في هذا الإجماع ؟!.

إنّه إجماع يهدر كرامة يزيد بلا ريب، فكيف سيتعامل معه رجلٌ تبنّى تزكية يزيد أوّلاً وآخراً ؟! إنّه سينفيه بكلّ بساطة نفياً قاطعاً لا ريب فيه ولا رجعة عنه، وهو في مثل هذه المواقف لا ينسب قوله إلى مصدر معيّن لا من أصحاب العلم والفقه والصدق في النقل، ولا من غيرهم، بل يطلق أحكامه النهائيّة جزافاً وكأنّها من المسلّمات التي لا نقاش فيها، في حين لم يعرف التاريخ منها شيئاً، بل كلّه شاهد على نقيضها، ولا عرف الناس من أهل العلم وغيرهم حرفاً منها، ولا رآها هو نفسه في كتاب ولا سمعها من شيخ ذي معرفة !.

إنّه هنا يقول: «ويزيد لم يَسْبِ للحُسين حريماً بل أكرم أهل بيته»![1].

ويقول: «لا سَبَى أهلَ البيتِ أحد، ولا سُبيَ منهنّ أحد»![2].

ثمّ يبرهن لك على صحّة قوله بطريقة ساخرة ودهاء جديد، فيقول:

«أمّا ما يرويه من لا عقل له يميّز به ما يقول، ولا له إلمام بمعرفة المنقول، من أنّ أهل البيت سُبوا، وأنّهم حُملوا على البخاتي، و (أنّ البخاتي نبت لها من ذلك الوقت سنامان) ! فهذا من الكذب الواضح الفاضح لمن يقول به»[3].

---

(١) منهاج السُنّة ٢: ٢٢٦.
(٢) رأس الحسين: ٢٠٨.
(٣) رأس الحسين: ٢٠٨.

تُرى أليسَ هو فاضحٌ أيضاً لمن يزوّره ؟! فمن أين هذه الفقرة المضحكة التي حشرها مع الخبر المتّفق عليه عند أصحاب التاريخ ليحكم على الموضوع كلّه بالبطلان مع ما يضفيه عليه من سخرية ؟!.

ولماذا صدّ بوجهه عمّا نقله ابن أبي الدنيا ومحمّد بن سعد صاحب (الطبقات) ونحوهما من أهل العلم والصدق في النقل ؟!.

لا شكّ أنّ من يقول : (إنّ البخاتي نبت لها من ذلك الوقت سنامان) هو جاهل صاحب هوى، ولكنّه ليس بأسوأ حالاً ممّن يأخذ هذا الكلام فيدسّه في الأخبار الموثّقة ليضفي عليها لوناً من السخرية، فيخدع بذلك أعداداً كبيرة من البسطاء المقلّدين. هذا، وهو يعلم بالحقيقة التي اتّفق المؤرّخون على نقلها !.

قال محمّد بن سعد صاحب (الطبقات) وابن أبي الدنيا بعد ذكر مقتل الحسين ﷺ انتهابهم ثيابه وسيفه وعمامته، قالا ما نصّه: وأخذ آخر ملحفة فاطمة بنت الحسين، وأخذ آخر حليّها ! وبعث عمر بن سعد برأس الحسين إلى عبيدالله بن زياد، وحَمَل النساء والصبيان، فلمّا مرّوا بالقتلى صاحت زينب بنت عليّ: يا محمّداه! هذا حسين بالعراء، مرمّل بالدماء، مقطّع الأعضاء..

يا محمّداه ! وبناتك سبايا، وذريّتك قتلى تسفي عليها الصَبا.

قال: فما بقي صديق ولا عدوّ إلّا بكى ![1].

اللّهمّ إلّا ابن تيميّة !!.

ثمّ واصل ابن الجوزي نقله عن محمّد بن سعد، قال: ثمّ دعا ابن زياد زحر بن

---

(١) الردّ على المتعصّب العنيد: ٤٠.

قيس فبعث معه برأس الحسين ورؤوس أصحابه إلى يزيد. وجاء رسول من قِبَل يزيد فأمر عبيدالله بن زياد أن يرسل إليه بثقل الحسين ومن بقي من أهله.

قال: ثمّ دعا يزيد بعليّ بن الحسين والصبيان والنساء وقد أُوثِقُوا بالحبال !! فأُدخِلُوا عليه، فقال عليّ بن الحسين: يا يزيد، ما ظنّك برسول الله صلى الله عليه وآله لو رآنا مقرّنين بالحبال، ما كان يرقّ لنا ؟!.

فقال يزيد: يا عليّ، أبوك الذي قطع رحمي ونازعني سلطاني، فصنع اللهُ به ما رأيت !.

ودعا بالنساء والصبيان فأُجلسوا بين يديه، فقام رجل من أهل الشأم فقال: يا أمير المؤمنين هب لي هذه، يعني فاطمة بنت الحُسين[1] ! وكانت وضيئةً، فأرعدت وظنّت أنّهم يفعلون، فأخذت بثياب عمّتها زينب، فقالت زينب: كذبت والله ماذلك لك ولا له.

فغضب يزيد لذلك وقال: كذبتِ، إنّ ذلك لي لو شئتُ لفعلتُه !.

قالت: كلّا والله ما جعل الله عزّ وجلّ ذلك لك إلّا أن تخرج من ملّتنا أو تدين بغير ديننا.

ثمّ بعث بهم إلى المدينة.

ثمّ قال ابن الجوزي: هكذا قال محمّد بن سعد[2].

---

(١) في المصدر: بنت عليّ. والصواب ما أثبتناه.

(٢) الردّ على المتعصّب العنيد: ٤٩ ـ ٥٠، وهو في ترجمة الإمام الحسين عليه السلام من الطبقات لابن سعد: مجلّة تراثنا عدد ١٠ ص ١٩٢.

هذا هو قول محمّد بن سعد، وهو قول ابن أبي الدنيا وغيره، وقول سائر المؤرّخين، لم يكتمه منهم أحد ولا جادل فيه أحد، فأين رأيتَ الكذب الذي يفضح صاحبه ؟!.

قال ابن حبّان في كتاب (الثقات) أنفذ عبيدالله بن زياد رأس الحسين بن عليّ إلى الشأم مع أُسارى النساء والصبيان من أهل بيت رسول الله ﷺ على أقتاب مكشّفات الوجوه والشعور... وأُدخلوا دمشق كذلك، فلمّا وضع الرأس بين يدي يزيد بن معاوية جعل ينقر ثنيّته بقضيب كان في يده، ويقول: ما أحسن ثناياه![1].

وإليك هذه الفقرة الواحدة من كتاب عبدالله بن عبّاس الذي أجاب فيه على يزيد، فقال: «ألا ومن أعجب العجائب، وما عشتَ أراك الدهر العجب، حَمْلُكَ بنات عبدالمطّلب وغلمةً صغاراً من ولده إليك بالشأم كالسبي المجلوب تُري الناسَ أنّك قهرتنا!»[2].

فماذا سيقول ابن عبّاس لو سمع كلام ابن تيميّة وهو يبرّئ يزيد من كلّ إثم حتّى أنّه ليقول: ويزيد لم يَسْبِ نساء أهل البيت ولكن أكرمهنّ ؟!.

وأعجب من هذا قوله في أثناء دفاعه عن يزيد ما نصّه: «وأنّ يزيد ظهر في داره الندب لقتل الحسين، وأنّه لمّا قدِمَ عليه أهلُه وتلاقى النساء تباكينَ، وأنّه خيّر ابنه علياً بين المقام عنده والسفر إلى المدينة، فاختار السفر إلى المدينة فجهّزه إلى المدينة جهازاً حسناً»[3].

---

(١) الثقات لابن حبّان ٢: ٣١٢ ـ ٣١٣ وذكر خلاله قصّة راهب رأى ذلك الموكب فسأل الجند عن الرأس فلمّا أجابوه بأنّه رأس الحسين قال: بئس القوم أنتم! والله لو كان لعيسى ولد لأدخلناه أحداقنا!.

(٢) تاريخ اليعقوبي ٢: ٢٥٠.

(٣) رأس الحسين: ٢٠٧.

فدليله على براءة يزيد أنّه ظهر في داره الندب لقتل الحسين، فكيف ظهر هذا الندب ؟! يقول: لمّا قدِم عليه أهله وتلاقى النساء تباكين، فبكاء النساء دليل على براءة يزيد !!.

وبعد، لاحظ قوله: «لمّا قَدِم عليه أهله» يعني لمّا قدم أهل الحسين على يزيد، فهل سأل نفسه كيف قدموا على يزيد إن لم يكن هو الذي جَلَبهم كسبايا حرب ؟! هل قدموا عليه رغبةً منهم وشوقاً لرؤية يزيد ؟! أم قدموا مصطافين فأحبّوا زيارته ؟!.

أم رأيت استخفافاً بالإسلام وأهله وتاريخه كهذا ؟!.

كلّ هذا في حفظ كرامة (السلطان القائم) على سنّة بني إسرائيل !.

إنّه منطق لا يشبه في شيء منطق الأحرار الّذين يعرفون معنى الكرامة ويفهمون ماذا يعني انتصار القيم.

إنّه لا يشبه حتّى منطق المستشرقين من النصارى الّذين أدركوا شيئاً من قيم الإسلام وأخلاق النبيّ الكريم وإن لم يتحلّوا بها !.

فنهضة الحسين ﷺ ليست للمؤمنين وحدهم، بل هي لبني الإنسان حيث كان، وما من إنسان تحلّى بطرفٍ من مكارم الأخلاق إلّا وهو يجد في تلك النهضة مثلاً أعلى في تاريخ بني الإنسان (فكلّ صفةٍ من تلك الصفات العُلْوية التي بها الإنسان إنسان، وبغيرها لا يحسب غير ضربٍ من الحيوان السائم، فهي مقرونة في الذاكرة بأيّام الحسين ﷺ..

وليست في نوع الإنسان صفات عُلْويّات أنبل ولا ألزم من الإيمان والفداء

والإيثار ويقظة الضمير وتعظيم الحقّ ورعاية الواجب والجَلَد في المحنة والأَنَفَة من الضيم والشجاعة في وجه الموت المحتوم، وهي ومثيلات لها من طرازها هي التي تجلّت في حوادث كربلاء يوم نزل بها ركب الحسين، ولم تجتمع كلّها ولا تجلّت قطّ في موطن من المواطن تجلّيها في تلك الحوادث..

وقد شاء القدر أن تكون في جانب منها أشرف ما يشرُف به أبناء آدم، لأنّها في الجانب الآخر منها أخزى ما يخزى به مخلوق من المخلوقات.

إنّهم آثروا جمال الأخلاق على متاع الحياة.. فهم اليوم مزار يطيف به المسلمون متّفقين ومختلفين، ومن حقّه أن يطيف به كلّ إنسان لأنّه عنوان قائم لأقدس ما يشرُف به هذا الحيّ الآدميّ)[1].

إنّها نهضة اليقين الذي لا يحدّه حدّ، ولا يدنو من سمائه شكّ..

نهضة بلغت فيها مبادئ السماء وسنن الأنبياء ومعالي الأخلاق قمّة ازدهارها، فمجّدها كلّ من عاشت تلك المعاني بين جنبيه، أو أحبّها.

نهضة أزرت على مبادئ تنتهي عند البطون وراحة الأبدان فأثارت مَنْ هذا همّه، فنقموا منها!.

---

(١) عباس محمود العقّاد: أبو الشهداء الحسين.